صفحة : 45 – 60

P.D.F

محور العدد:

نساء عربيات رائدات

نانا أسماء فودي.. الفقيهة المجاهدة وخنساء الأدب النيجيري

ولدت نانا أسماء عام 1793 لأسرة تتوارث العلم كابر عن كابر، في بيت عُرف بالذكاء وغزارة المعرفة والتعمق في بحور الفقه والعلوم الشرعية والدينية، وتوفيت عام 1864م، وشهدت جنازتها حضور أمواج مهيبة من كبار رجالات الدولة ومن النساء والرجال ممن آمنوا بها وبدورها وبما قدمته من خدمات جليلة لمجتمعها طول سنوات حياتها، تاركة خلفها إرثًا علميًا هائلًا، قرابة مئة من أحفادها من حملة الدكتوراة أشهرهم البروفسور الوزير سمبو جنيدو والبروفسير أمين عابدين والبروفسير أحمد بلو غطاطاوا والدكتور عبد الله بخاري. وكانت آخر حلقات تكريمها إنشاء جامعة تحمل اسمها تحت مسمى «**جامعة نانا أسماء للعلوم الطبية**» في سوكوتو (شمال غرب نيجيريا)

وقد كتب عنها وعن انتاجها العلمي **الدكتور أبُو سليمانُو**
أستاذ الأدب والنقد المساعد في المعهد العالي لإعداد المعلمين في جَامعة مرْوَا جمهورية الكاميرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

نَانَا أسماء بنت عثمان بن فُودِيٍ وإبداعاتها الفنية

La Créativité Artistic de Nana Asmaa Othman Dan Fodio

إعداد:الدكتور أبُو سليمانُو

أستاذ الأدب والنقد المساعد/ في المعهد العالي لإعداد المعلمين / جَامعة مرْوَا جمهورية الكاميرون

Dr: Abbo Souleymanou

ENS UMa

Rep. du Cameroun

abbo.lawana@gmail.com

TE:(00237) 691024372 / 679612621

تاريخ الاستلام: 2021/3/25 تاريخ القبول: 2021/4/15

Résumé :

Ce travail de recherche porte sur le parcours des femmes de « l'Etat de SOKOTO », leur place et leur rôle dans la littérature africaine d'expression arabe. Elles ont, en réalité, joué un rôle éminemment proéminent depuis l'aube de l'histoire de cet Etat. Ce rôle a été aussi bien décrit en poésie qu'en prose. La femme de l'Etat de SOKOTO s'est tenue aux côtés de l'homme, participant activement avec lui à la construction de cette glorieuse civilisation africaine. Des nombreux chercheurs, auteurs et écrivains lui ont

reconnu cette action déterminante dans ce domaine essentiel ; et ce serait, d'ailleurs, injuste et ingrat de reléguer ce pan de l'histoire aux calendes grecques. L'un des objectifs de ce travail est de mener une étude artistique et objective de la poésie de l'une des pionnières de cette littérature à savoir NANA ASMAOU, la fille d'Othman Dan Fodio.

Cette recherche aborde deux thèmes parmi les différents thèmes développés dans la poésie de NANA ASMAOU notamment l'éloge et l'élégie. Ce travail s'articule, outre l'introduction et la conclusion, autour de deux parties essentielles à savoir la biographie de l'auteure et la présentation des traits portant sur les thèmes concernés par cette étude. La conclusion fait le point sur les principales conclusions auxquelles est parvenu le chercheur.

Plusieurs approches ont été mises à contribution pour mener à bien cette analyse notamment l'approche historique pour la présentation de la biographie de l'auteure et l'approche descriptive et analytique pour l'étude des textes. En faisant usage de plus d'une approche montre que nous nous inscrivons dans l'approche intégrative qui a cet avantage de permettre une analyse optimale de l'objet d'étude.

Mots clés : Nana Asma, Etat de Sokoto, créations artistiques, patrimoine littéraire, littérature africaine d'expression arabe.

مستلخص:

تعد نانا أسماء بنت عثمان بن فودي من رائدات الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء، ومكانتها في الأدب العربي الإفريقي الحديث كالخنساء في الأدب القديم، وقد كان لها تأثير ثقافي كبير في أوساط الإفريقيين، خاصة أنها بنت أبرز شيوخ دولة «**صكُتو**» الإسلامية وعلمائها ومؤسسها.

ويهدف هذا المقال إلى إبراز مكانة المرأة وجهودها في دولة صكتو الإسلامية ليكون بمثابة المرآة الشفافة تعكس على جهودهن في شتى المجالات، ومن أهداف البحث كذلك دراسة شعر نانا أسماء دراسة فنية موضوعية.

ويتحدد البحث بدراسة غرضين من أغراض شعرها وهي: المدح والرثاء.

وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، المبحث الأول؛ تحدّثت فيه عن حياة الشاعرة نانا أسماء، بذكر شيء عن حياتها بإيجاز، والمبحث الثاني: عرضت بعضا من نماذج شعرها واكتفيت بذكر قصيدتين من قصائدها وهي قصيدة المدح والرثاء، أما الخاتمة فذكرت فيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعرة، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، حيث رأيته أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة.

الكلمات الإفتتاحية:

نانا أسماء، دولة صكتو، الإبداعات الفنية، التراث الأدبي، الأدب العربي الإفري

مقدمة:

وإن من أبرز سمات التطور والتحضر لدى الأمم هو ما يعرف بالموروث الأدبي، ذلك الأدب المعبّر

عن خلخال داخل العقل والنفس من فكر ولواعج، ويدل على ما هو عليه المجتمع من قدرات علمية وأدبية وإنسانية، ذلك لأن الأدب مقياس حقيقي لحضارة المجتمع.

إن دولة صُكُّتُو((20)) الإسلامية، التي أسست على يد العالم الجليل، الشيخ عثمان بن محمد بن فودي يرحمه الله (1817–1754م)، وكانت اللغة العربية فيها لغة التخاطب، وقد كان جهابذة العلماء في هذه الدولة قد خلفوا كمية هائلة لا تقدر بثمن من التراث العربي المخطوط الذي هو شاهد على الحركة العلمية فيها، بالإضافة إلى دورهم البارز في نشر الثقافة العربية والإسلامية في تلك البقعة الواقعة في نيجيريا بإفريقيا جنوب الصحراء؛ ومن هؤلاء العلماء، العلامة نانا((21)) أسماء بنت عثمان بن فودي.

وقد كتبت عددا كبيرا من القصائد؛ من أجل تسهيل تعلم النساء، لكي يرتقين فكريا وماديا، وبعد فترة قليلة كثر عدد اللاتي يقصدنها إلى أعداد كبيرة من النساء، حتى لم تعد تستطيع تعليمهن كلهن، فبدأت بتدريبهن على تعليم ما تعلمن، ثم بعثت بهن إلى قرى مختلفة للقضاء على أمية أقرانهن من النساء. كما أن هؤلاء النسوة درين نساء أخريات، حتى تكونت شبكة من النساء المتعلمات الحافظات المدرسات، وأصبحن مثالا يحتذى به حتى في تعليم الصبيان، وكن يدرسن النساء في البيوت وخصوصا بيوت النساء الفقيرات.

كانت نانا أسماء تتحدث أربع لغات بطلاقة، وكتبت ما يزيد على ستين كتباً، وأصبحت بعد ذلك مستشارة لحاكم البلد، وكتبت رسائل إلى أمراء المحافظات تنصحهم. وكما كتبت القصائد التي ذكرت فيها فضائل الصحابيات والتابعيات، وعالمات عشن في بلاد السودان وبلاد الهوسا، وقد تتلمذ بعض علماء المنطقة على أيدي بعض العالمات، منهن أسماء.

وأورد لها كتاب: «حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا» عددًا من القصائد والمقطوعات الشعرية، ولها قصائد ومقطوعات شعرية ضمن كتاب: «الثقافة العربية في نيجيريا»((22)). بالإضافة إلى ذلك: فإن لها دورا بارزا في تأسيس الدراسات العربية الإسلامية، وقدمت في ذلك الكثير من الإنتاج الأدبي الشعري، والتأليف المنثور باللغة العربية، حيث نظمت أشعاراً عربية في مختلف الأغراض كالرثاء، والمراسلة، والمدح، والدعاء.

وقد شهد تعليم المرأة اللغة العربية والتعاليم الإسلامية وتعلّمها ازدهاراً وتنظيماً في زمن حركة الإصلاح، التي قادها الشيخ عثمان بن فوديو ببلاد الهوسا، والمناطق المجاورة، مثل مناطق في الجنوب الغربي لجمهورية النيجر، والبلدان الواقعة في شرق جمهورية بنين، ومنطقة شمال جمهورية الكاميرون، وذلك أن الشيخ نظّم تعليمه ووعظه وإرشاده للمرأة، فخصص للنساء أوقاتاً وأمكنة لذلك.

وكانت أسماء ضمن عالمات تخرجن وتتلمذن على أيدي الشيخ؛ وتولّت وغيرها تدريس النساء في نظام مزدهر، وهو الذي عُرف في تاريخ خلافة سوكوتو الإسلامية، وتم ذلك بتأسيس مدرسة العالمة المربية أسماء بنت عثمان بن فوديو سنة 1840م.

وتستحق النساء في ظل خلافة «**صُكُّتُو**» أن يهتم بهن الباحثون لدورهن البارز في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية ومساهماتهن في شؤون الخلافة، إيمانا منهن بالمسؤولية التي تقع على عاتقهن والتي تتجلى آثارها جليا في جميع ميادين الحياة.

---

(20) وتكتب: (**صكتو**)، والكتاب القدامى يكتبونها بالسين (**سكتو، وسكت**) بالواو وبدون الواو، وهي عاصمة الدولة الصكوتية الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في مستهل القرن الثامن عشر (1803م) وشملت ما يعرف الآن بشمال نيجيريا، وجزءا كبيرا من دولة الكاميرون، وإفريقيا الوسطى، وتشاد، والنيجير، وبنين.

(21) **نانَا**: كلمة فلَّاتيَّة، معناها: طفلة. راجع: الموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير الدكتو جُنيْد على معلمته حوَّاء، ص:13.

(22) **راجع**: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:342، والثقافة العربية في نيجيريا، ص:234.

المبحث الأول: التعريف بالشاعرة:

أوّلاً: مولدها ونشأتها:

ولدت نانا أسماء في قرية «**طَغَلْ**» في عام 1793م، وهي توأم حسن بن الشيخ عثمان، وكان الجميع يتوقع أن يسميها والدها ابن فوديو حُسْنِي أو حُسَيْنَة اسم يناظر اسم توأمها حسن؛ لكن ابن فودي سماها أسماء، وقال إنه اختار لها هذا الاسم بعد أن دعا الله سبحانه وتعالى أن يمنحه بنت تناصر الإسلام وتقوم بدور أشبه بالصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) ((23)).

توفيت ميمونة والدة نانا أسماء وحينها لم يتجاوز عمرها عامين، بعدها سلمت نانا أسماء إلى زوجة والدها ابن فودي حوَّاء والدة كل من أميري المؤمنين محمد بلو وأبي بكر العتيق.

وقد نشأت نانا أسماء في بيت يتميز بالعلم والدين من أكابر العلماء، بيت عرف بالذكاء وغزارة العلم وبدأت تعليمها بالقرآن الكريم كسائر معظم أبناء وبنات الفُولَانِيِّين، ثم بدأت رحلة دراسة العلوم الإسلامية واللغوية على يد والدها ابن فودي وعمها العلامة الشيخ عبدالله بن فودي، وعلى يد عدد كبير من النساء والرجال المتبحرين في العلوم، وأكثر من درست على يديه هو أخيها العلامة أمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان وله دور كبير في تربيتها وتأهيلها((24)).

تمكنت العلامة نانا أسماء من كتابة أولى مؤلفاتها وهو كتاب «تنبيه الغافلين» وعمرها عشرون عاما، وواصلت في الكتابة حتى بلغ عدد مؤلفاتها73 مؤلفا، شملت معظم فروع العلوم الإسلامية واللغوية، كتبت في الفقه، وفي السيرة، وفي العروض، وكتبت في الطب، وغيرها من فنون العلم؛ بعض مؤلفاتها نثرا والبعض الآخر شعرا، وكانت شاعرة متمكنة كتبت بالعربية وبالفلفدي والهوسا، وترجمت بعض مؤلفات والدها من العربية إلى اللغات المحلية كالهوسا والفلفلدي، وحولت بعض الكتب إلى نظم شعري، حتى يسهل فهمها وحفظها.

واهتمت نانا أسماء بتعليم النساء وأنشأت عددا كبيرا من معاهد تعليم النساء، وقد تخرج على يدها عدد كبير من النساء من مختلف أنحاء خلافة «صُكُتُو»، وكانت نانا أسماء من أكثر من تجلت فيها الولاية الظاهرة، وكان عدد كبير من علماء عصرها يستفتونها في بعض المسائل اللغوية والدينية لغزارة علمها، وهي المرأة الوحيدة التي تمت دعوتها في اجتماع مجلس الحل والعقد لاختيار أمير المؤمنين الجديد بعد وفاة الشيخ عثمان بن فودي، وكانت أول من بايع الخليفة الجديد أمير المؤمنين محمد بلو، وأصبحت مستشارة للحاكم وكتبت رسائل إلى أمراء المحافظات تنصحهم وتقومهم. وكل معاصريها ومن كتبوا عنها شهدوا لها برجاحة العقل، وقد زارها في دارها الشيخ العلامة عمر الفوتي، بغرض التبرك بها أثناء زيارته الثانية لمدينة سكتو وهو عائد من رحلة الحج في طريقه إلى بلاده في **فُوتَاتُورُو**((25)).

كما اهتمت نانا أسماء بالنساء وتأهيلهن وتدريبهن، وعندما بلغت سن الـ 40 عينت نانا أسماء في منصب **(عُورُ غَرِي)**، أي رئيسة اتحاد النساء بلغة هذا العصر، وهذا العمر هو من شروط تولي هذا المنصب، وأسست نانا أسماء أكبر منظمة نسوية أسمها **(يَانْ تَارُوَا)** تجمع معظم القيادات النسوية لخلافة «صكتو» من مختلف الولايات سنويا لخدمة الدولة وقضاياهن، وكانت نانا أسماء هي **(جَاجِي)** أي زعيمة المنظمة، وما زالت هذه الجمعية أو المنظمة قائمة تجمع القيادات النسوية من داخل وخارج نيجيريا سنويا إلى يومنا هذا.

---

(23) **راجع:** تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، صـ:25–22، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري صـ: 27، وانظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، صـ:47.

(24) **راجع:** كتاب تنبيه الغافلين لنانا أسماء، تحقيق سابو مختار،صـ:45.

(25) **راجع:** إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، صـ:145.

عندما ضيق ملك مملكة غُوبَرْ على الشيخ عثمان وجماعته الإصلاحيين، قبيل بداية حركته الإصلاحية واتخذ الشيخ عثمان بن فودي قرار الهجرة من موطنه بـ«**طغل**» (طغل بلغة الفلفلدي تعني المدرسة الكبري) إلى منطقة «**غُدُو**» الواقعة في أقصى شمال نيجيريا الآن، كانت نانا أسماء على رأس قيادة النساء المهاجرات مع ابن فودي إلى «غُدُو» في عام: 1804م، وما إن بدأت حركات الإصلاحية حتى نظمت نانا أسماء مجموعة من النساء ليقمن بدور المؤازة، فكان عليهن إعداد الزاد وتضميد جراح المقاتلين، بل تعدى دور نانا أسماء إعداد الزاد وإسعاف الجرحى فوصل إلى درجة المشاركة بالسيف في المعركة، هذا ما قامت به نانا أسماء في معركة ثنثوا عام 1804م، عندما خسرت حركة الإصلاحيين المعركة الثانية.

في عام 1807م تزوجت نانا أسماء من العالم العلامة عثمان قِطَاطُو بن ليم، أحد أكبر العلماء في عصر ابن فودي وبلغ عدد مؤلفاته أكثر من 40 كتابا، وقِطَاطُو هذا هو الوزير الأعظم لخلافة صُكُّتُو، القائمة على نمط الدولة العباسية، وهو من خلف الشيخ عبدالله بن فودي على منصب الوزارة بعد وفاة الشيخ عثمان بن فودي عام: 1817م، وتنصيب أمير المؤمنين محمد بلو بالخلافة((26)).

وفي عام 1810م أنجبت نانا أسماء ابنها الأول عبدالقادر، وفي عام 1820م أنجبت نانا أسماء ابنها الثاني أحمد، وفي عام 1829م أنجبت نانا ابنها الثالث عثمان، أحسنت نانا تعليم وتربية أبنائها فصاروا من أكبر علماء عصرهم، وهذا مكنهم من ورثة منصب والدهم منصب الوزير الأعظم في خلافة صُكُّتُو الإسلامية، وظل هذا المنصب متوارثا في هذا البيت بفضل اهتمام أبناء نانا أسماء بالعلم، وعرفنا بغزارة العلم فنجد ابنها عبدالقادر له العديد من المؤلفات، وكذلك ابنها أحمد وابنها عبدالله بايرو جميعهم تركوا مؤلفات كثيرة، ونبغ عدد كبير من أحفادها وكانوا من كبار علماء عصرهم منهم: العلامة الوزير محمد البخاري بن أحمد بن قطاطو، والقاضي يحيى النووي بن الوزير إبراهيم بن الوزير عبدالقادر، والعلامة الوزير جنيدو بن الوزير محمد البخاري له أكثر من 40 كتابا((27)).

والآن نجد حوالي مائة من حملة الدكتوراة من أحفاد نانا أسماء وزوجها قِطَاطُو، أشهرهم البروفسور الوزير سَمْبُو جُنَيْدو، والبروفسور أمين عَابِدِين، والبروفسور أحمد بللو قِطَاطُوا، والدكتور عبدالله بخاري، وغيرهم الكثير بين نيجيريا والسودان وغيرهما.

حظيت حياة نانا أسماء وتاريخها وأعمالها العلمية باهتمام عدد كبير من العلماء والباحثين من مختلف أنحاء العالم، خاصة العلماء الأوروبيين، وعلماء غرب إفريقيا، وقد حصرت أكثر من مائة عنوان بحث، أو أوراق علمية، أو مقالات في مجلات وصحف، عن هذه العالمة العلامة، وحظيت نانا أسماء أيضا باهتمام كل الأجيال التي أتت من بعدها في تخليد ذكراها العطرة، وقد حصرت أيضا ما يقارب60 مؤسسة، من: كليات، ومدارس، ومستشفيات، وجمعيات، وغيرها تحمل اسم نانا أسماء، ونالت تكريم الفُولَّانِيين بشكل عام؛ حيث كثيرًا ما تلقب كل من تحمل اسم أسماء عند الفُولَّانِيّين بلقب «**نَانَا**» تيمنا بهذه العالمة الجليلة.

وقد ترجمت أعمالها إلى عدة لغات، وتدرس سيرتها في عدة الجامعات الإفريقية والغربية كمثال عظيم للمرأة الإفريقية المسلمة.

الجدير بالذكر أن العلامة عمر الكمو؛ أحد أعوان الشيخ عثمان بن فودي كان صديقا للشيخ عثمان بن فودي منذ الصبا حتى وفاة الشيخ، وقد تزوج أمير المؤمنين محمد بللو بعائشة بنت عمر الكمو، وكما كانت الصداقة القوية بين الشيخ عثمان بن فودي وعمر الكمو، أيضا نشأت صداقة قوية بين بنتيها نانا أسماء وعائشة عمر الكمو، وعندما توفيت عائشة رثتها نانا أسماء بثلاث قصائد، نورد هنا

(26) **راجع**: كتاب تنبيه الغافلين لنانا أسماء، تحقيق سابو مختار،صـ:55.
(27) **راجع**: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، صـ:75.

مطلع قصيدتها «**إلى الله أشكو**» في رثاء صديقتها عائشة بنت عمر الكمو، تقول فيها[(28)].

ثَانِياً: وفاتها:

توفيت الشاعرة نانا أسماء سنة ألف وثمانمائة وستين ميلادية(1860م)، عن عمر يناهز 72 سنة، بعد أن قضت حياة حافلة بالخيرات وخلفت تراثا هائلا في مجال الأدب العربي واللغة العربية وثقافتها. وعندما توفيت أسماء حضرت جنازتها آلاف من النساء و الرجال جاؤوا من جميع بقاع الدولة لحضور جنازتها، ولا يزال تراثها باقيا إلى اليوم فلا تزال النساء في هذه المنطقة يستخدمن أسلوب تعليمها من أجل نشر العلم والعلوم الإسلامية[(29)].

فأعداد لا متناهية من النساء تدين لها بقدرتهن على القراءة و الكتابة و تعلمهن القرآن و أصول الدين وقدرتهن على إعالة ذويهن.

ثَالِثًا: من آثارها العلمية:

وقد سبقت الإشارة إلى أنها كتبت في ميادين شتى بحيث يصعب علينا تحديد المجالات التي تناولتها في كتبها، غير أنه يمكن القول إن الكتب التي ألفتها باللغة العربية هي الأكثر؛ إذا ما قورنت بتلك المكتوبة باللغات المحلية. ولمؤلفاتها(12) مكانة مرموقة في نشر وازدهار الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا الواقعة في جنوب الصحراء من جهة، ودورها الفعَّال في تعليم العلوم الإسلامية واللغوية.

<u>وحسبنا أن نذكر</u>: تنبيه الغافلين، والقصيدة من أسماء إلى معلم أحمد الموريتاني، ومراسلات الأشعار بين الشيخ سعد ونانا أسماء، والقصيدة من علي بن إبراهيم إلى سيدتي نانا أسماء ومرثية عائشة.

رَابِعًا: من إنتاجها الشعري:

كتبت الشعر باللهجات المحلية كالهَوْسَاوِيَّة والفُولَّانِيَّة، إلى جانب اللغة العربية الفصحى. وقد أورد لها صاحب كتاب: «حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا» عددًا من القصائد والمقطوعات الشعرية، ولها قصائد ومقطوعات شعرية ضمن كتاب: «الثقافة العربية في نيجيريا»[(30)].

ويدور ما أتيح من شعرها، حول الرثاء الذي اختصت به قريناتها من الصديقات، ولها شعر في المدح أوقفته على بعض الوجهاء في زمانها، تميل إلى إسداء النصح، واستخلاص الموعظة. اتسمت لغتها بالطواعية مع إيثارها البث المباشر، خيالها تقليدي مجلوب. التزمت الوزن والقافية في ما أتيح لها من الشعر.

ومن أشعارها التعليمية ما قالت عندما سئلت عن التدخين إن كانت قد نقلت شيئا عن والدها الشّيخ عثمان أو عمها عبد الله؟ فأجابت بهذه الأرجوزة من الشعر التعليمي قائلة:

تنــازع شيــوخنا في التــعبع وبعضهم قد حكموا بالمنع
والبعض قد روي على الجَـواز فَـــلَمْ تَـصِح رِوَاية الجواز

تناولت في هذه الأرجوزة قضية التدخين، وهي تمثل ظاهرة اجتماعية عمت بها البلوى بين عامة الناس، وتشكل خطراً على سلامة البيئة البشرية وحياتها؛ لما ينتشر بسببه من الأوبئة والأمراض الفتّاكة، ولما سئلت عن رأي العلماء فيه، اختارت أن تجيب بأسلوب في قالب أدبي فني، وهذا يدل على مبلغها من العلم، وتضلعها بالفنون الأدبية؛ لتناقش فيه ما يتعلق بالتدخين، وهو المراد من قولها «التعبع»، الكلمة التي تحتها الخط في آخر البيت الأول من الصدر، والصحيح في كتابة هذه الكلمة هو لفظ «**تابا**»، وهي كلمة هوساوية معربة، ولعلها اختارت حرف العين ليناسب البحر الرجز الذي

(28) **راجع**: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:90.
(29) **راجع**: كتاب تنبيه الغافلين لنانا أسماء، تحقيق سابو مختار،صـ:55.
(30) **راجع**: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:342، والثقافة العربية في نيجيريا، ص:234.

من خصوصيته الازدواجية المكررة[(31)].

ثم أخذَت تذكر عيوبه ومفاسده الاجتماعية، ومضاره الإنسانية؛ لتؤيد القول، أو الرأي الثاني في عدم الجواز فقالت:

فَـسِـــتة عُــيوبها فعدّها قَـسَـاوة القلب فخذ إحداها
وتفسد المال وتمحو النور كَـفاك ذي الثلاثة المذكورة
وتــمــــنع الحياء والمروءة وَسْـــم من يشربها سفيها

المبحث الثاني: عرض لبعض نماذج من شعرها:

في هذا البحث يكفينا أن نورد بعضاً من قصائدها في المدح والرثاء.

أ- في المدح: وتقول:

أكْـــــرِمْ بِـجَهـبذِنا الكريمِ الوافد عــن أرضِه نَـحو المدينةِ قَاصِدِ
يَـــعتامُ ذَاكَ البـــيتَ والقبرَ الذي ضَـــاءتْ بـــه أنوارُ كـلِّ مَـعَاهِدِ
تَـــسْمو به نُجُبٌ يـذلِّلُها الهوى وتُهينُ سَـــعْيَ المُستحثِّ الرَّاشِدِ
وَاعْـــلَـمْ بِـــأنَّا قد فرِحْنا غايةً بِـمُـرورِ ركْـــبٍ للأحـبِّةِ قَاصِدِ
لا سيَّـــمَـــا لأخٍ نَـسِيبٍ فـارعٍ في الـــعلم ذي قَـدمٍ رفيعٍ صَاعِدِ
قَـــــد جَـاءنا بأَمارةٍ مـن عـلمه وَبَـلاغَـــةٍ مـن نـــثرِه وقَصَائِدِ
فَجَـزاكَ ربُّ الـــعرشِ خـيرَ جزائه عَـــــنَّا بِحُسنِ كلامِـه المُتَوَارِدِ
وَأتمَّ سَـــعيَكَ بالمـناسك في منًى والسَّـعْيِ في عَـرَفَاتَ بـيتِ الوَاحِدِ
وَأَتَاح وَصْـــلَكَ للـمديـنة بعدها وَزِيَـــــارةً بِـمَزائِـــرٍ ومَـشاهـدِ
بمكـــانةِ المـــختار سـيِّدِنا الذي تَـــسْمُـو لـزَوْرتِه بـعزمٍ نَاهـدِ
صَلّى عـــليه الله خـيْـرَ صـلاتِه مَـــقْرُونَـــةً بِـسَـلامِه المُتَـــزَايِدِ[(32)]

1- التحليل الأدبي والفني للقصيدة:

بدأت بذكر صفات الممدوح مقارنة ذلك بوصف رحلته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد النبي المصطفى صل االله عليه وسلم، ويلمس ذلك كله من قولها

أَكْرِمْ بِجَـهْـبذِنا الكريمِ الوافد عن أرضِه نَـــحو المَدينةِ قَاصِدِ
يَعْتَامُ ذَاكَ البَيْتَ والقبرَ الذي ضَـــاءتْ بـــه أَنْوَارُ كُلِّ مَعَاهِدِ
تَسْمُو بِهِ نُجُبٌ يُذَلِّلُها الهَوَى وَتُهِـينُ سَعْيَ المُستحثِّ الرَّاشِدِ

صدّر نانا أسماء قصيدتها بأسلوب التعجب تتعجب بهذا السيد الكريم، وهو من الأساليب الدالة على قوة العاطفة، وقد خالفت سنة الشعراء القدامى من الوقوف على الأطلال، والبكاء على مفارقة المحبوبة.

وفي قولها: « **أكرِمْ بجَهبذِنا الكريمِ**» تعجب بهذا الممدوح، وتذكر بسبب رحلته إلى ديار المقدسة، ومغادرة مسقط رأسه وهو عازم لأداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة.

(31) راجع: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، صـ:169.
(32) راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:107.

ثم واصلت في إظهار فرحها وسرورها بمرور ركبان الخيل الذين توجهوا نحو مكة والمدينة مع ممدوحها، ولكنها اختصّت ممدوحها بالذكر وفضلته على بقية الوافدين الذين أظهرت من أجل مرورهم غاية سرورها وفرحها، استمع إليها وهي تقول:

وَاعْـــلَـمْ بِـــــأنَّا قد فرِحْنا غايةً بِـــمُـرورِ ركْـــبٍ للأحبِّة قاصد
لا سيَّـــــمَـــا لأخٍ نَـــسِيبٍ فارعٍ في الـــــعلم ذي قدمٍ رفيعٍ صاعد

واستمرت نانا أسماء في وصف ممدوحها وبيان منزلته العلمية، ومساهمته في نشر العلوم الدينية واللغوية بأقسامها المختلفة، في قولها:

قَـــــد جَـاءنا بأمارةٍ عن علمه وَبَلاغَـــــةٍ من نـــثرهِ وقصائد

وفي الختام شرعت الشاعرة في دعاء الخير لممدوحها سائلة الله رب العرش العظيم له الجزاء الحسن عن جزيل مساهمته الجبارة في نشر العلوم الدينية واللغوية إلى بلادنا بلاد السودان، وأن يساعد الممدوح أيضا في أداء المناسك، ويقدر الله سبحانه ذهاب الممدوح إلى المدينة المنورة سالما غانما لزيارة المزائر من المسجد النبوي الشريف وروضة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وبقية المشاهد الموجودة في المدينة وما حولها، ولتكون دعائها مستجابة توسلت إلى الله بمكانة المختار صلى الله عليه وسلم، ويتضح هذا من قولها:

فَجَـــزاكَ ربُّ الـــعرش خيرَ جزائه عَـــــــنَّا بِحُسنِ كلامِه المُتَوَارِدِ
وَأتمَّ سَـــعيَكَ بالمناسك في منًى والسَّـعْيِ في عَـرَفَاتَ بيتِ الوَاحِدِ
وَأَتَاح وَصْـــــلَكَ للـمدينة بعدها وَزِيَـــــارةً بِـمَزائِـــرٍ ومَـشاهِدِ
بمكـــانةِ المـــختار سيِّدِنا الذي تَـــــسْمُـــو لـزَوْرتِه بـعزمٍ نَاهِدِ ((33))

ثم ختمت قصيدتها بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، خلاف ما يختتم به الشعراء قائلة:

صَلّى عـــليه الله خيرَ صلاتِه مَـــقْـرُونَـةً بِـسَـلامِه المتزايد

2- الخصائص الفنية في القصيدة:

أوّلاً: ألفاظ القصيدة: من أبرز الملاحظة أن الألفاظ كانت واضحة سهلة بعيدة عن كل تنافر في حروفها، وقد جاءت منجمة، ائتلفت فيها حروفها المكونة لها، وقد أحسنت في اختيارها ألفاظاً رائعة ملائمة، ومن بين هذه الألفاظ كلمتي: «**نُجُبٌ**»، و «**المُستحثٌّ**» من قولها:

تَسْمو بِه نُجُبٌ يذلِّلُها الهَوَى وتُهينُ سَعْيَ المُستحثِّ الرَّاشِد

وكانت دقيقة في اختيار كلمة «**نُجُبٌ**»، التي توحي بدلالتها إلى خيار الخيل، وكان بإمكانها استعمال كلمة «**الجواد**»، ولكنها أعرضت عنها؛ لأنها لا توحي إلى الخلوص والخيار، وكذلك اختيارها كلمة « **المُستحثٌّ**» التي تعني بلوغ الغاية في العدو والإسراع.

ومن سمات جودة أسلوب الشاعرة استعمالها الأسماء المشتقة في أماكنها المناسبة منها: «الصفة المشبهة» في قولها:

---

(33) راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:107. والموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير الدكتو جُنيْد على معلمته حوّاء، ص:13.

لا سِيَّما لأخٍ نَسيبٍ فارعٍ في العلم ذي قدمٍ رفيعٍ صاعد

وكلمة «**فارعٍ**» من باب فرح، وفعله فرع يفرع، وقد أوردها الشاعرة هنا لتعبر به عن الثبوت واللزوم، أي بأن الممدوح قد بلغ الغاية في العلو والارتفاع والسمو في العلم، وله قدم راسخ فيه، وهذه الصفة ثابت فيه ولا تزول عنه.

ومن حسن السبك عندها استخدامها الجمل الفعلية في أماكنها المناسبة لتفيد التجدد والاستمرار، وذلك في قولها:

يَعتامُ ذاك البيتَ والقبرَ الذي ضَـــاءتْ به أنْـــوارُ كلِّ معاهد

تسمو به نُجُبٌ يذلِّلُها الهوى وَتُهِـينُ سَـــعْيَ المُستحثِّ الرَّاشِدِ

وهذه الكلمات: «يعتامُ» و«تسموا»، و«تهين» كلها أفعال مضارعة، أوردتها الشاعرة لتدل بها على استمرار هذه الصفات وتجددها في الممدوح.

– **أما التراكيب** فقد جاءت في هذا النص متميزة بالانسجام والجزالة والائتلاف، ومن روائع التراكيب الجيدة «الوصل»، وهو: عطف جملة على أخرى بحرف العطف، و«الفصل» ترك هذا العطف، وقد أحسنت نانا أسماء في استعمال هذه القواعد البلاغية استمع إلى قولها:

تَسْمُو به نُجُبٌ يذلِّلُها الهوى وَتُهينُ سعْيَ المُستحثِّ الراشد

فبتأمل الجملتي هذا البيت وهما: « تَسْمُو به نُجُبٌ» وجملة « تُهينُ سعْيَ المُستحثِّ»، يلمس رابطة تجمع بينهما وهي التماثل بين المسندين فيهما، وليس هناك من سبب يقتضي الفصل بينهما، وهكذا اسعمالها الفصل في مقامه ففي قولها:

أكرِمْ بجَهبذِنا الكريمِ الوافد عن أرضِه نحو المدينةِ قاصدِ

نرى اتحادا تاما في المعنى بين جملتي هذا البيت، وهما: « **أكرِمْ بجَهبذِنا**»، وجملة: « **نحو المدينةِ قاصدِ**»، فالجملة الثانية إيضاح لما أبهم في الجملة الأولى فهي بيان لها.

<u>ثَانِياً: الصور والأخيلة</u> جاءت صور الشاعرة غنية ثرية متنوعة، فيها التجسيم، والتشخيص، وتشبيه واستعارة، وقد استطاعت ببراعة فنية أن تقرب إلينا صورها حتى نكاد أن نلمسها بأيدينا ونراها بأعيننا حية ناطقة، وهذا بفضل تلك العاطفة القوية الجيَّاشة التي امتدت على مسار القصيدة، ومن هذه الصور قولها:

قَـد جَاءَنَا بأمارةٍ من علمه وَبَـلاغَـةٍ من نـــثرِه وقصائد

وقالت إن الممدوح قد بلغ الغاية في العلم والتقى والحكمة في نشر العلوم الدينية واللغوية بأقسامها المختلفة، ولما أرادت أن تبين لنا مقدار هذه العلوم التي سقانا الممدوح من فيوضها، شبهتها بالعمارة بجامع الإحياء في كل، ثم حذفت المشبه واستعارت اللفظ الدال على المشبه به وهو «العمارة» على سبيل الاستعارة التصريحية.

<u>ثَالِثاً: العاطفة في القصيدة:</u> كانت العاطفة على أشدها وهي عاطفة صادقة قوية حين استهلت الشاعرة قصيدتها بصيغة التعجب، قائلة:

أكرِمْ بجَهبذِنا الكريمِ الوافد عن أرضِه نَـــحو المدينةِ قاصدِ

وقولها:

وَاعْـلَمْ بـأنَّا قد فرِحْنا غايةً بِـمُـرورِ رَكْبٍ للأحبّة قاصد
لا سيَّمَـا لأخٍ نَـسيبٍ فارعٍ في العلم ذي قدمٍ رفيعٍ صاعد
قَـد جاءنا بأمارةٍ عن علمه وَبَـلاغَـةٍ من نـــثرِهِ وقصائد

والمتأمل لهذه القصيدة وخاصة هذه الأبيات فإنه سيشارك الشاعرة في الفرح بقدوم ممدوحها؛ لأنها تمدحه بإخلاص صادق، ومما يزيد حرارة عاطفتها، دعائها للممدوح بالخير، لأنها قلما تصد ذلك إلا من قلب صادق ومطمئن فتقول:

فَـجزاكَ ربُّ العرش خيرَ جزائه عَـــنَّا بِحُسنِ كلامِه المتوارد
وأتَـــاح وصْلَك للمدينة بعدها وَزِيَـارةً بـــمَزَائِـــرٍ ومَشاهد
بمكـــانةِ المختار سيِّدِنا الذي تَـسْـمُـو لزَوْرتِه بعـزمٍ ناهد

فلا شك في أنها تتمتع بعطفة جيّاشة وانفعالة صادقة، ولما نراجع القصيدة كلها نرى أن العاطفة تلتهب وتتعجج في القصيدة، ومما يدل على نجاحها أنها استطاعت أن تلفت أنظار المستمعين إليها، وتنتقل بهم إلى ما تشعر به حين وضعت اللبنة الأولى لهذه القصيدة، بحيث يحسّ المستمع بما تحسّ به الشاعرة نانا أسماء.

رَابعاً: الموسيقى الداخلية:

إن موسيقى الشعر الكاملة لا تتكون من الإيقاع العام أو العروضي وحده؛ بل تنشأ من الإيقاع الداخلي، ويعد التصريع من أهم عناصر الإيقاعات الداخلية فهو يسهم في إثراء الحركة الموسيقية اللازمة لبنية القصيدة الفنية لما فيه من نغمات تجعل النفس تتلقاه بالارتياح والقبول؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وهو: «عبارة عن استواء عروض البيت وضروبه وزنًا وإعرابًا وتقفيةً»[(34)]، بمعنى أن يكون عروض النصف الأول مطابقًا لعروض النصف الثاني من البيت.

والتصريع من علامات إجادة الشاعر فإنه يدل على فصاحته، وقوة بلاغته، فهو يعد أذن المتلقي ويمهّده لمعرفة القافية وقبولها، ومن التصريع في هذه القصيدة كلمتي: «الوافد»، و»قاصد»، في هذا البيت:

أكرِمْ بجَهبذِنا الكريمِ الوافد عن أرضِه نَـــحو المدينةِ قَاصدِ

وقد التزمت في البيت الأول الدال رويًّا، والياء وصلاً، والألف الذي توسط بينه وبين الروي حرف صحيح «تأسيسًا» في العروض والضرب مع عدم تغيير صيغة العروض.

ومن الجودة في الموسيقى «التكرار»، وهو: أن يكرر الشاعر أو الأديب اللفظ أو المعنى لتأكيد الوصف أو المدح أو غيرهما، وله الأهمية الكبرى في تأدية المعنى وتوكيده[(35)].

وقد كررت الشاعرة حروفا وألفاظًا لتزيد قصيدتها رونقًا وجمالاً، ومن ذلك كلمة «الصفير» وهو صوت زائد يشبه صوت الطائر، وكذلك كررت حرف «السين» عدة مرات منها «تسمو» و «سعى»، و «المستحث» وغيرها.

وكذلك كررت أيضًا ألفاظا تصف بها الممدوح بكثير من الصفات القيّمة مثل: الجهبذ، الكريم، أخ

(34) راجع: موسيقى الشعر، صـ:145.
(35) المرجع نفسه. 155.

نصيب، فارع في العلم وغيرها.

ومن روائع الموسيقى الداخلية «الجناس»، وهو: «أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى»[(36)]، وهو عظيم الوقع، وتتمثل ذلك في قولها:

وأتمَّ سعيَكَ بالمناسك في منًى والسَّعْيِ في عرفاتَ بيتِ الواحد

وكلمة: «سعيك»و «السعي» جناس حيث اتفقا في أنواع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها، واختلفا في المعنى، فالسعي الأولى هي مجرد الذهاب إلى المناسك، بينما الثانية تدل على الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، فهو جناس تمام.

خَامسًا: الموسيقى الخارجية:

أما الجرس الموسيقي في هذه القصيدة، فنلاحظه في جملة أمور، فهناك جرس الألفاظ وجرس التراكيب، وهناك جرس الوزن والقافية، فهذا الرَّوِيِّ البائي يصور خير تصوير فرح الشاعرة، فالقصيدة دالية القافية، وهي على بحر الكامل، هذا البحر مع كونه عذبًا سلسًا، فهو سهل كثير المقاطع، فإن اقترن بقافية سهلة كالنون مثلاً أو الدال ازدادت السهولة، ولذلك امتطاه جمع من الشعراء في المدح فنظموا فيه من المطولات، فشاعرتنا موفقة في اختيار هذا البحر وزنا لقصيدتها، وعلى هذا فإن الوزن والقافية من العوامل التي ساعدت شاعرتنا على إبراز كوامنها الداخلية، وتصوير فرحها. وتقول:

وَاعْـلَـمْ بِـأنَّا قد فرِحْنا غايةً بِـمُـرورِ ركْـبٍ للأحبِّة قاصد[(37)]

وهذا دليل واضح على جمال النص الأدبي لدى نانا أسماء وتمكنها في فنِّ المديح. الجدير بالذكر أن العلامة عمر الكَمُو أحد أعوان الشيخ عثمان بن فودي في الجهاد، وكان صديقا للشيخ عثمان بن فودي منذ الصبا حتى وفاة الشيخ، وقد تزوج أمير المؤمنين محمد بللو بعائشة بنت عمر الكَمُو، وكما كانت الصداقة القوية بين الشيخ عثمان بن فودي وعمر الكمو، أيضا نشأت صداقة قوية بين بنتيهما: نانا أسماء وعائشة عمر الكمو، وعندما توفيت عائشة رثتها نانا أسماء بثلاث قصائد، وسأورد هنا مقتطفات من إحدى هذه القصائد وهي:

ب: وفي الرثاء:

أعَـيْنيّ جودا وأبْـكيا لي حبيبتي وسلوة أخواتي وأنسًا لوحشتي
فجودا بسكب الدمع من فقد عائشة أَعَـز أحبائي وأوفى صديقتي
وأثْـنِي عَـليها بالشجاعة والحيا وَدِيـنٌ وَأخْـلاقٌ حسان رقِية
ألَـمْ تَـعْلَمُـوا أن الصداقة لم يكن لعبد لها شيء إذا ما استقرَّت
فَـلا وَلَـدٌ يسلي المحب ولاَ أخٌ وَلَا مَـسْكن زاه ولا جمع قنوة
وَأَبْـكِي عَـلَـيْـها بالدموع ترحُّماً وَشَـوقاً وتحناناً لصدْقِ المَوَدَّةِ
ولم يـنْهَ عن هَـذا الـنبيُّ وإنما نهَى عـن صـراخاتٍ بآهٍ وآهَة
وأدْعُـو إلـهِي أن يُؤمِّنَ خوفَها ويَرزقَها ارحمن حُسْنَ المثوبة[(38)]

(36) راجع: موسيقى الشعر، صـ:145.

(37) **متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن**
والملاحظ أن الوزن دخل فيه الإضمار، وهو إسكان التاء في «**متفاعلن**» فنقل إلى «**مستفعلن**».

(38) راجع: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:107. والموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير الدكتو جُنيْد على معلمته حوَّاء، ص:13.

1- الشرح والتعليق:

الغرض من القصيد: الرثاء، وهو ذكر مناقب الميت التي كان يتصف بها وأثر ذلك في قبيلته وعشيرته، وهو من الأغراض القديمة في الشعر العربي، فهو مدح للميت بما كان يمتاز به من صفات، كالكرم والشجاعة والطموح والشرف والسيادة، وهو يقال المدح بالنسبة للأحياء.

وقد استهل الشاعرة نانا أسماء قصيدتها بمخاطبة العين والحديث عن البكاء، ثم الالتفات السريع إلى المرثي للتحدث عن خصالها وفضائلها وصفاتها.

أَعَينيَّ جُودَا وَابْكِيا لي حبيبتي وَسَلْوةَ أحْزَانِي وأُنْسًا لِوَحْشَتِي

وإذا جئنا إلى العاطفة فإننا نجد عاطفة صادقة مزيجا من الحزن الذي وصل إلى حد النواح، والمفاخرة، والتعداد لمناقب الفقيدة، وذكر محاسنها، فمزجت بين العاطفتين، عاطفة الحزن، وعاطفة الحب تقول:

وَأُثْنِي عَلَيْهَا بِالشّجَاعَةِ والـحَيَا وَدِينٍ وَأَخْـــلاقٍ حسانٍ رضيَّة

وَذِكْـــــرٍ وأورادٍ وصبرٍ وعفَّةٍ قِـــراءةُ قرآنٍ فَـنِعْمَ حبيـبتي

ثمّ تقول:

وَأَبْكِي عَـلَيْها بِالـدُّمُوعِ تَرَحُّمًا وَشَوْقًا وتحنانًا لِصِدْقِ المودَّة((39))

تقول: إنها ستبكي على عائشة ترحما، إنها العاطفة الصادقة التي تنبض بالحزن والأسى، وتتدفق بالوعة على فراق أعز الناس.

فالبكاء صورة تعبيرية عن ألم نفسي، وحزنٍ في قلب الإنسان، وهو طريقة من ألوان التعبير المادي . والبكاء يندرج تحت فن من فنون الشعر العربي وهو الرثاء الذي يعد من أبرز الموضوعات في الشعر العربي بعامة والشعر الجاهلي بخاصة، لأنه يرتبط بظاهرة الموت التي تعد من الظواهر الإنسانية التي شغلت عقول المفكرين والأدباء والفلاسفة على حد سواء من قديم الزمان.

ومن الحقائق التاريخية المسلّم بها أن الأمة العربية احتفظت عبر تاريخها الطويل بتراث ضخم من المراثي وجلّ هذه المراثي التي وصلت إلينا تميزت بصدق العاطفة وحرارة اللوعة، ولا سيما التي تقوم على صلة الرحم ورابطة القربى التي تجمع بين الراثي والمرثي فكلما دنت القرابة بين الشاعر والمرثي ازداد الرثاء حرة وتفجعاً.

ومن أجل ذلك عدة المراثي الجاهلية من أفضل أشعار العرب الجاهليين وأجودها، وقد أفصح عن ذلك أحد الأعراب حين سُئل ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ فقال: لأننا نقول وأكبادنا تحترق ((40)).

وقد كان للمرأة حضور ومشاركة في هذا اللون التعبيري، وساهمت إسهاما فاعلاً في إثراء ديوان العرب بهذا الفن الشعري المتميز، وربما يكون ذلك الفن من طبيعة المرأة الوجدانية، وتركيبتها النفسية، بوصفها أكثر ميلاً للحزن والأسى والبكاء على عكس الرجل من ذلك، الذي فرضت عليه الأعراف الاجتماعية بأن يتسم بالصبر والتحمل، وخاصة أن العرب كانت تعير من يبكي من الرجال، كما جاء على لسان المهلهل بن ربيعة في قوله:

يُبْكَى علينا ولا نَبْكِي على أَحَدٍ لنَـــحْنُ أغْلَظُ أكباداً من الإبِلِ

وقول عمرو بن معد يكرب:

---

(39) **راجع:** حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، صـ:107. والموازنة بين مرثية نانا أسماء على صديقتها عائشة ومرثية الوزير الدكتو جُنيْد على معلمته حوَّاء، ص:13.

(40) **راجع:** تاريخ الأدب العربي للرافعي:1/124.

وإنا لقومٌ لا تـفيض دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظَّهر

2- ومن حيث الألفاظ والأسلوب والتصوير والموسيقى:

والأسلوب عند النقاد عبارة عن: «الطريقة الخاصة التي يصوغ بها الكاتب أفكاره، ويبيّن فيها ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات»[(41)]. فالأسلوب إذاً، طريقة اختيار الألفاظ وصوغها وترتيبها في التراكيب والمعاني التي تحملها تلك الألفاظ والتراكيب.

-**يتميز أسلوب** نانا أسماء برهافة الحس وصدق العاطفة والبعدعن التهويل الكاذب، والأسلوب يتنوع بين الخبر والإنشاء للوصف والتقرير.

-**وأما الألفاظ** فهي سهلة معبرة عن عاطفة الحزن والأسى واللوعة. وقد اختارت الصور المعبرة عن عواطفها ومشاعرها وتعتمد على الاستعارة والكناية والتشبيه.

-**وأما الموسيقى** فلا شك أنه احتوى على الكثير من التناغم والجمال، فنجد الجرس الموسيقي في الأبيات ذات الإيقاع العذب السلس، واختيار الألفاظ السهلة، كما أنها سعت إلى استخدام محسنات موسيقية أخرى للتعبير عن صورٍ نفسية ومعاناة حقيقية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدها تأتي بالأبيات المصرعة لإضفاء قيمة موسيقية، ونغمة تتناسب مع المعنى، والشعور النفسي تقول :

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَابْكِيا لِي حَبِيبَتِي وَسَلْوَةَ أَحْزَانِي وأُنْسًا لوَحْشَتِي

وفي قولها «**حبيبتي، لوحشتي**»: تصريع بين شطري البيت، وهو اتفاق شطري البيت في الحرف الأخير يعطي جرسا موسيقيا ويطرب الأذن ويثير الذهن، وفي ذكر اسم الفقيدة أفاد شدة حب الشاعرة لها وتلذذها بذكر اسمها على لسانها.

والظاهرة في الوزن والقافية والتصريع وحسن التقسيم نابعة من انتقاء الألفاظ الملائمة للجو النفسي وحسن تنسيقها وترابط الأفكار وروعة التصوير.

ومن الفنون البلاغية استخدمت الخنساء الاستعارة وهي: نقل العبارة عن موضع استعمالها من أصلها اللغوي إلى غيره لغرض التعبير عن قوة التصوير والتخيل والإبداع وإيصال ما يرومُ الشاعر إيصاله إلى المتلقي.

فقد استعانت نانا أسماء بهذا اللون البلاغي للتعبير عما يجيش في نفسها، وحاولت تلوين نصها بهذا اللون البلاغي، تقول:

أعَينيَّ جودا وابكِيا لي حبيبتي وسلْوةَ أحزاني وأُنْسًا لوحشتي

وفي قولها: «**أعيني**» أسلوب إنشائي، نداء للحزن والأسى، و»جودا»: إنشائي أمر للتمني، و كلمة «**أعيني**» استعارة مكنية، شبهت عينيها بشخصين يمكن الاستغاثة بهما ووجهت إليهما النداء، وسر جمال الاستعارة التشخيص[(42)].

و»جودا» : استعارة مكنية شبهت عينيها بشخصين توجه إليهما الأمر، امتداد للصورة، وابكيا :أسلوب إنشائي أمر للحث والتحضيض . التكرار يدل على تأكيد مشاعر الحزن والأسى عند الشاعرة. وفي كلمة «وابكيا»: استعارة مكنية شبهت عينيها بشخصين توجه إليهما الحث للبكاء على عائشة.

وهكذا حاولت نانا أسماء تلوين قصيدتها بألوان بلاغية محاولة إيصال المعنى إلى المتلقي، والتفنن في القوافي والتلاعب بالألفاظ للتأثير في نفس السامع، ونقل المشاعر إلى الآخرين بصورٍ متعددة،

(41) **راجع:** موسيقى الشعر، صـ:125.

(42) راجع: تجدد الأدب العربي في نيجيريا، ص:134.

كما أنها حاولت إظهار شعرها بصورة جميلة وبشكل رائع، يجعل قارئه يتفاعل مع معانيه ويسبح في خيالاته ويعيش المأساة وكأنه صاحبها.

وإني لا أجد تشبيهاً لشعر نانا أسماء إلا بدم الغزال الذي يخرج من عرقه ودمه بعد إجهاده وإتعابه يقول المتنبي

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

3- ملامح شخصية نانا أسماء من خلال القصيدة :

هي امرأة رقيقة الشعور، مرهفة الحس، شديدة الحب والوفاء لصاحبتها، تكشف عن طبيعة المرأة التي تستنجد في الأحزان بالدموع الغزيرة((43)).

ولولا خشية الإطالة المملة، لأورد الباحث بالاستقراء أكثر قصائد هذه الشاعرة ليشهد عليها القارئ، ولعل في هذا القدر المعروض كفاية، وللحديث بقية فيما يأتي إن شاء الله.

الخاتمة:

بعد هذا العرض السريع نكون قد ألقينا الضوء على دور المرأة الساحلية في المجتمع العلامة نانا أسماء نموذجا. بدأ بالحديث عن نشأتها، وإنتاجها الشعري، وقد اتضح لنا في النقطة أن الشاعرة ترعترع في بيت يهتم بالعلم، كما عاشت في بيئة مكتظة بالعلماء اللغويين، والأدباء البارعين، وقد ترك ذلك كله أثراً إيجابيا في شخصية الشاعرة.

كما تضح أيضاً جودة السبك عندها حيث استطاعات أن تستخدم المعاني استخداماً مناسباً للمعنى المعبَّر، كما يلمس من شعرها قوّة العاطفة المتمثلة في الدواعي التي من أجلها أباح الشاعرة بأفكارها.

كما استطعنا بعون الله سبحانه وتعالى التنويه إلى جهود النساء في التعليم عبر منهجية تعليمية امتدت من عاصمة الخلافة إلى القرى والدول المجاورة.

ويتضح لنا كذلك من خلال هذه الدراسة أنه يمكن معالجة العديد من المشاكل التعليمية والاجتماعية والسياسية التي تعترض سبيل الدول الإفريقية الواقعة في جنوب الصحراء بالرجوع والأخذ بما في كتب القدماء.

وكما تبين من خلالها أنّ الشاعرة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي صاغ المعاني في شعرها صياغة فنية رشيقة، تهب المعنى المجرد شكلا حسيا يمكّن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلا إيجابيا، فصبّ عليها خيالها وعاطفتها الحسَّاسة، وعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور. وفي نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد كتابة هذا البحث وهي:

1. لقد ترك علماؤنا في إفريقيا جنوب الصحراء من الشعر العربي ما لا يستهان به إذا عرض على ضوء النقد الأدبي، بحيث لو اطلع عليه العربي القح أو الناقد النزيه لما وسعه إلا أن يطأطئ رأسه، إعجابا بالقريحة التي جادت بها رغم بعد الدار بينهم وبين بلاد العرب، إضافة إلى عدم توفر التسهيلات الحديثة، وأهم الأغراض التي نظموا أشعارهم فيها: المدح، والرثاء، والشعر التعليمي، والوصف، والوعظ والإرشاد، والغزل والزهد والشكوى والحنين والتوسلات إضافة إلى شعر المناسبات.

2- تكثيف الجهود في خدمة مؤلفات نانا أسماء خاصة، وخدمة مؤلفات علماء إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، وإقامة مؤتمرات وندوات وإنشاء مجلات وحوليات عن هؤلاء العلماء الأجلاء.

(43) راجع: تجدد الأدب العربي في نيجيريا، ص:134.

3- تحقيق كثير من مؤلفات علماء صكتو الإصلاحيين المجددين التي لم تظهر، ولم تخرج إلى عالم الطباعة والنشر، لنستفيد بها في قراءة تراثنا والاستفادة بما وضعه سلفنا من العلوم النافعة، والفوائد الدقيقة التي تكشف تاريخنا وجهود أجدادنا في ميدان العلم والتأليف في شتى العلوم، لأن في مؤلفاتهم هذه علوما كثيرة ومنافع عديدة، الحمد لله قد قام بعضهم بهذا العمل حيث إنه حقق كثير منها، لكن حتى الآن هناك العديد من مؤلفاتهم غير محققة.

4- إن النساء في خلافة دولة صكتو الإسلامية ساهمن في تطوير اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

يوصي الباحث بأن تهتم المؤسسات والمراكز ومعاهد البحث العلمي بدراسة الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء، خاصة شعراء دولة صكتو الإسلامية وطباعة الكتب التي تركوها لإحياء التراث الأدبي العربي الإفريقي حتى يطلع الباحثون على ما قدمه الأدباء الأفارقة في المجال الأدبي، الذي ساعد على الوعي بقضايا الأمة الاجتماعية والثقافية والروحية.

ثبت بالمصادر والمراجع

1- **آدم عبد الله الألوري:** الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط1971،3م.

2- **آدم، عبد الله الإلورى:** مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط1، 1967م.

3- أنيس إبراهيم: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو القاهرة مصر الطبعة الثانية 1903م.

4-**سابو المختار:** تحقيق كتاب تنبيه الغافلين لنانا أسماء، بحث مقدم إلى جامعة ميشال دي منتاي- فرنسا لنيل شهادة التخصص الدقيق الماجستير، سنة 2010-2009 م.

5- **سمبو ولي جنيد:** شعراء ولاية صكتو ومدح العظماء من: 1804 – 1960م، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الخرطوم 1979م.

6- **عبد الرحمن محجوب:** الأدب والمجتمع، مجلة الآداب والدراسات الإسلامية،جامعة صكتو، العدد الأول 1982م.

7- **علي أبوبكر:** الثقافة العربية في نيجيريا، ط1972،1م.

8- **علي شلش:** الأدب الأفريقي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1992م.

9- **علي عبد الحليم محمود:** النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، شركة مكتبات عكاظ جدة، السعودية: 1982م.

10- **عيسى ألبى أبوبكر:** اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: آفاق التطور والازدهار، الجامعة الأسمرية، زليتن، بالجماهيرية العظمى، 28/12/1432هـ.

11-**غلادنثي شيخو أحمد سعيد:** حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط2، المكتبة الإفريقية، سنة: 1993م.

12-**زكريا حسين:** المادبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، (ط1)، نيجيريا/ أوتشي: دار النور،2000م.

13-**محمد بللو:** إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور . وزارة الأوقاف . القاهرة مصر، 1964م.

14- **مسعود راجي:** تجدد الأدب العربي في نيجيريا: الأدب النيجيري في اللغة العربية،مجلة الدراسات العربية والإسلامية. 2001م.

15- **يحيى محمد الأمين:** تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، 2010م.